التربية بالقدوة

الجزء الأول

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]

obeikandl.com

obeikandl.com

أساليب النبي ﷺ في التربية

كان رسول الله ﷺ يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها وأوقعها في نفس المخاطب، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتاً للعلم في ذهنه. ونسوق فيما يلي نماذج لهذه الأساليب والطرائق[1].

نسوق هذه الوسائل لا لنجمد عند حروفها.. ولكن لنفهمها ونتخذها أصولاً نبني حولها منهاجاً متكاملاً في التربية..

التربية بالقدوة

وكان من أهم وأعظم وأبرز أساليبه ﷺ في التعليم: العمل والتخلق بالسِّيَر الحسنة والخلق العظيم، فكان إذا أمر بشيء عمل به أولاً ثم تأسى به الناس وعملوا كما رأوه، وكان خلقه القرآن، فكان على الخُلُق العظيم، وجعله الله أسوة حسنة لعباده، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

وللقدوة تأثير بالغ الأهمية في تربية الفرد وتشكيل المجتمع.

فالطفل تتفتح عيناه على الحياة فيجد قدوته أمه وأباه.. يتطبع بهما، ويقلدهما في كل شيء.. إذا رآهما يصليان وقف معهما وتعلم الصلاة.. وإن أحسّ منهما الصدق كان صادقاً.. وإذا جرّب عليهما الكذب صار الكذب ديدنه.. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ عندما رأى امرأة تنادي ابنها وتقول: تعال أعطك. قال رسول الله: «**وما تعطيه؟**» قالت: أعطيه تمراً..

فقال المعلم المربي ﷺ: «**لو لم تعطه شيئاً لكانت كذبة**»[3].

---

(1) الرسول المعلم، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ص: 64.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 21.

(3) أبو داود (كتاب الأدب - 4339)، وأحمد (مسند المكيين - رقم 15147).

نبهها رسول الله ﷺ إلى خطورة المرحلة.. وأنها القدوة لطفلها الذي تربيه، فلتنتبه لكلامها.

يستغرب الآباء لمَ يتهرب الأطفال من البيوت للتدخين.. ويستغرب الأساتذة عندما يأوي طلابهم إلى ركن بعيد يدخنون فيه السجائر.. وكان الأحرى بهم أن يدركوا السبب: فهو الأب المدخن أو الأستاذ المدخن أو الزميل المدخن.

وكما يتعلم الطفل من أبويه طريقة كلامه وأسلوب مشيته، يتعلم منهما كذلك الأخلاق كالصدق والحب والوفاء.. فالطبع يسرق من الطبع، ورسول الله ﷺ يؤكد على أن: «**كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**».. يدفعانه في طريق الخير والإيمان والإسلام.. أو في طريق الشر والانحراف.

وكما الأسر في عالم الطفل كذلك الصاحب في الشارع.. والإمام في المسجد.. والمدرّس في المدرسة.. والموجِّه في الجماعة.. يجب أن يكون كل منهم عاملاً بعلمه، فلا يكذّب قولُه فعلَه، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1]. وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾[2].

إن وجود النماذج البشرية المتكاملة، وقيامها أمام الناس في شتى مراحل الحياة النامية، يعتبر من أنجع الطرق التربوية في مجالات الحياة السلوكية والانفعالية والعلمية والاجتماعية. فهذه الطريقة تقدم النموذج الحي الماثل للإنسان ولاسيما للأطفال والفتيان، وتستثير فيهما الميول الفطرية الأولية للاقتداء والتقليد. فالإنسان فيه ثلاثة ميول فطرية متفاعلة في هذا المجال:

---

(1) سورة البقرة، الآية: 44.

(2) سورة الصف، الآيتان: 2، 3.

◄ الميل للتقليد والمحاكاة.
◄ والميل لحب المشاركة الوجدانية والاندماج.
◄ والاستعداد لقبول الإيحاء والاستهواء.

وهذه ميول تربوية ذات أثر بعيد وعميق في تكوين النفس الإنسانية انفعالياً وإدراكياً وسلوكياً.

فالإنسان - مثلاً - حين يرى أو يسمع أمراً يعجبه، فإنه يجد نفسه مندفعاً بروح الإعجاب لمحاكاة ذلك الأمر المادي، أو السلوك الوظيفي، أو العادة السائدة. لأن في المشاركة الجماعية الوجدانية راحة وانسجاماً، بينما في الشذوذ والمخالفة نوع من الاضطراب النفسي.

فوجود النماذج الحسنة من الشخصيات الإنسانية ذات أهمية كبرى في صياغة السلوك وأنماطه، فالقدوة تقدم الأسلوب العملي الواقعي للحياة، وليس مجرد أقوال وعظات[1].

لقد كان للقدوة الحسنة الأثر العميق في تعليم المسلمين وتثقيفهم وتغيير اتجاهاتهم وتعديل سلوكهم والأخذ بيدهم نحو بناء الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي.

وشكلت شخصية الرسول ﷺ القدوة الحسنة التي تمثلت القرآن الكريم وحوّلت مبادئه ومعانيه إلى تصرفات وسلوك ومعاملات وأفكار ومشاعر. مما حدا بأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أن تقول عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ: «كان خلقه القرآن».

وتمكن رسول الله ﷺ صاحب التطبيق العملي لمنهج القرآن الكريم من وصل أصحابه بالله عن فهم ومعرفة وإيمان. وصلهم بالقرآن الكريم ففهموه على أنه أوامر للتنفيذ، فكان زاد قلوبهم ومطهر نفوسهم، وموجه سلوكهم والصلة بينهم وبين ربهم[2].

(1) الرسول العربي المربي، د. عبد الحميد الهاشمي، ص: 443.
(2) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ص: 11.

لقد جاءت الدعوة للاقتداء بالرسول الكريم ﷺ واضحة في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

القدوة كالإمام

يقول الإمام الغزالي حول هذا الموضوع: القدوة كالإمام الذي يحتاج للاقتداء به في الصلاة. والمربي سواء أكان عالماً أم معلماً فهو كالإمام الذي يتحمل مسؤولية كبيرة ومن حق الناس عليه أن يكون قدوة صالحة. فإن العالم إذا لم يكن كذلك زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا[2].

وفي الطريق الطويل الممتد المبتدىء برسول الله ﷺ، والمستمر إلى قيام الساعة، وجدت نماذج أخرى تمثلت دعوته واستلهمت قدوته وتخلقت بخلقه.. فكانت قدوة صالحة اقتدى بها الناس وحققوا بعض التقدم لهذا الدين.

والله ﷻ من رحمته بعباده أنه يرسل على رأس كل مائة عام أحد الأفذاذ القدوة يجددون للناس أمر دينهم..

فلا حركة بدون قدوة.. ولا تربية بدون قدوة.. ولا بناء بدون قدوة.

وكلما كانت جوانب العظمة في الإنسان القدوة متعددة، كلما كان تأثيره أكبر وأشمل وأعمق.. فأنت قد يبهرك إنسان زاهد عابد تعجب لزهده وانقطاعه للعبادة.. وقد يشدك إنسان سياسي بارع في عبارته ذكي في تحليله للأمور وربطه للأحداث، وقد تعجب ببطل شديد المراس محنك في إدارته للمعارك.. وقد تعجب بإنسان عادل في حكمه حليم في طبعه أنيس في مواقفه..

قد يشدك الكرم في شخص، والأبوة الحانية في آخر، والإنسانية التي تنشغل بكل الناس في ثالث.. وكلما تعددت جوانب العظمة في إنسان كان قدوة للمزيد من الناس الذين يعجبون بهذه الخلال.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 21.

(2) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (1/ 78).

قدوة القدوات

كان سيدنا محمد ﷺ.. قدوة لجميع القدوات، متعدد جوانب العظمة.. يجد فيه كل إنسان منصف جانباً عظيماً يشده إليه..

كان متواضعاً غاية التواضع.. «**وهل أنا إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة**».

إذا جاع الصحابة ووضعوا حجراً على بطونهم.. كان أكثرهم جوعاً فيكشف عن حجرين على بطنه..

شجاعاً كما وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كان أشجعنا أقربنا إلى رسول الله ﷺ».

بشيراً كما وصفه ربّه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1].

رحيماً: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

مشركو مكة يضعون أماناتهم عنده.. فهو الأمين..

وأبو سفيان وهو على شركه يتهيبه فلا ينطق أمام هرقل ملك الروم عندما سأله عنه بكلمة تسيء إلى عظمته..

لقد شكلت شخصية النبي ﷺ العامل الرئيس في تعليم المسلمين وتثقيفهم وتغيير عقولهم واتجاهاتهم وتعديل سلوكهم والأخذ بيدهم نحو بناء الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي المتميز.

وجُعل في هذا الدين حبُّ الله مقترن باتباع القدوة معلم البشرية، قال تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[3].

كما قرن عليه الصلاة والسلام الإيمان بتفوق محبته على أي شيء آخر.

---

(1) سورة سبإ، الآية: 28.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(3) سورة آل عمران، الآية: 31.

قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين**»[1].

والقرآن الكريم إذ يركز على ضرورة الاقتداء بالرسول باعتباره أسوة حسنة، فإن التربية الإسلامية تتخذ من القدوة طريقاً لتحقيق أهدافها، فالمعلم كي يكون قدوة لا بد أن يتمثل المنهج الذي يعلّمه ويربي به، وأن لا يكون هناك أي تناقض بين قوله وعمله، فيتخذه المتعلمون قدوة لهم يتأسون به في كل حركاته وسكناته، فضلاً عن أخلاقه ومنهجه، وإلا فإن التربية تنقلب إلى تلقين وضغط وتسميع دون أي أثر عملي لها[2].

وإذا كانت التربية السليمة لا تعتمد على مجرد المواعظ.. فإنها تعتمد أساساً على المربي الفاضل القدوة، الأمر الذي يحمّل المربي مسؤولية كبيرة بأن يكون صورة حية لما يدعو إليه.. علماً وخلقاً وتديناً ودفاعاً عن الحق ووقوفاً في وجه الظلم وسعياً وراء الكمال[3].

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أوتى برجل وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانه مني!.

فإذا أردت أن تكون مربياً ناجحاً.. فلا بد أن تكون قدوة لنفسك.. فمن المسلم به أن النصح لا يمس شغاف القلب ولا يؤثر في النفس إلا إذا كان صادراً عن قلب مخلص. فإذا أراد المربي أن يبعد الآخرين عن فعل مشين.. فعليه أول الأمر أن يقلع هو عن ذلك.. قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[4].

---

(1) البخاري ومسلم والنسائي (القدوة وإحياء الضمير - نسيبة عبد العزيز المطوع، ص: 72).
(2) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن، علي خليل أبو العينين، ص: 230.
(3) المدرس في التربية الإسلامية، عبد الغني عبود.
(4) سورة البقرة، الآية: 44.

وقال تعالى على لسان شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[1].

من السهل أن تقرأ كتباً في التربية.. أو أن تكتب صفحات حولها.. ولكنك لن تكون مربياً صالحاً حتى تكون قدوة حسنة.. تتخذ من رسول الله ﷺ القدوة الأعظم والأكمل والأشمل.. قدوة لك. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

أما لك بي أسوة؟

دخل رسول الله ﷺ ذات يوم على زوجته عائشة رضي الله عنها، فوجد عندها نسوة، وكانت فيهن واحدة كئيبة المحيا، رثة الهيئة. فسأل رسول الله ﷺ عنها، فقيل له: إنها زوجة عثمان بن مظعون. وعثمان هو أحد المؤمنين الأولين السابقين.. انصرف كلياً للعبادة.. وبالغ بالأمر حتى نسي نفسه وأهله.. وانشغل عنهم.

ذهب الرسول ﷺ إليه وقال له: «**أما لك بي أسوة..؟**».

قال عثمان: بأبي أنت وأمي.. وماذا؟

قال الرسول: «**أتصوم النهار.. وتقوم الليل؟**».

قال عثمان: إني لأفعل.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تفعل، إن لجسدك عليك حقًّا.. وإن لأهلك عليك حقًّا..**».

فامتثل عثمان على الفور للقدوة العظيمة.. وأقام العدالة النفسية الاجتماعية في جوانب حياته.. بعد أن مالت به نحو الغلو في جانب على حساب الجوانب الأخرى.. وتحضر زوجة عثمان إلى بيت رسول الله ﷺ، نضرة سعيدة كأنها عروس.. وتسألها عائشة، فتقول: أصابنا ما أصاب الناس.

هذا هو الدور التربوي الذي تقوم به القدوة الحسنة.. فيكفي أن يقول

(1) سورة هود، الآية: 88.

(2) سورة التوبة، الآية: 128.

لعثمان.. «**أما لك فيّ أسوة؟**» حتى يسارع من فوره لتغيير سلوكه الخاطىء والاقتداء بسيرة صاحب الأسوة.

الكل أمام القانون سواء

والقائد القدوة.. أسوة لأصحابه في سيرته وخلقه.. ومعلم لهم في ضعفهم وخطئهم.. إذا رأى اعوجاجاً قوّمه بأيسر وألين الأساليب.. وإذا رأى انحرافاً لم يسكت عنه حتى يستقيم.

روي أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترىء عليه غير أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد: وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».

هذه هي الأسوة الحسنة التي لا تجامل في الحق، فالكل عندها أمام القانون سواء.

نقض تقليد جاهلي متأصل

كانت قضية التبني من العادات التي استقرت وتأصلت عند العرب. فقد كان للمتبني جميع الحرمات والحقوق التي كانت للابن الحقيقي سواء بسواء، وكانت تلك القاعدة قد تأصلت في القلوب، بحيث لم يكن محوها سهلاً، ولكنها في نفس الوقت قاعدة تعارض معارضة شديدة للأسس والمبادىء التي قررها الإسلام في النكاح والطلاق والميراث وغير ذلك من المعاملات، وكانت تلك القاعدة تجلب كثيراً من المفاسد والفواحش التي جاء الإسلام ليمحوها من المجتمع. ولهدم تلك القاعدة أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن ينكح زينب بنت جحش زوجة مولاه زيد. كان الأمر شديداً على رسول الله مخافة ما يتركه مثل هذا الزواج من تأثير وأقوال.. ولكن الله يريد إبطال هذه العادة الضارة، ولا يمكن إبطالها إلا بأن يتولى ذلك رسول الله ﷺ بنفسه، وهو القدوة الحسنة، التي يتسابق المسلمون إلى التأسي به.

كاد الناس أن يهلكوا

يوم الحديبية وبعد انتهاء الرسول ﷺ من كتابة المعاهدة مع سهيل بن عمرو، عزَّ على المسلمين الأمر ورأوا في رجوعهم عن مكة بدون أن يدخلوها ويعتمروا أمراً خطيراً يصدمهم، خاصة وأن في بعض نصوص المعاهدة التي رضيها رسول الله ﷺ ما أتعبهم وأذهلهم، وحين أمرهم رسول الله ﷺ أن يذبحوا الهدي ويحلقوا، تثاقلوا، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة مغضباً يقول: «**كاد الناس أن يهلكوا**»، فقالت: وما يهلكهم يا رسول الله؟ فقال: «**أمرتهم أن يحلقوا وأن يذبحوا فلم يفعلوا**». فقالت رضي الله عنها: اخرج إليهم ولا تكلم أحداً منهم، واعمد إلى الحلاق فخذ من شعرك واذبح بيدك هديك فإنهم إذا رأوك فعلت أسرعوا وفعلوا.. ففعل رسول الله ذلك، فلما رأوه أسرعوا يحلقون ويذبحون.. إنها القدوة العملية التي امتصت الغضب وأعادت الناس إلى صوابهم[1].

(1) السبق التربوي في فكر الإمام الشافعي، بدر محمد ملك وخليل محمد أبو طالب.

obeikandl.com

الفصل الأول

الأسوة الحسنة

لقد شكلت شخصية النبي ﷺ العامل الرئيس في تعليم المسلمين وتثقيفهم وتغيير عقولهم واتجاهاتهم وتعديل سلوكهم والأخذ بيدهم نحو بناء الشخصية الإسلامية المتميزة والمجتمع الإسلامي المتميز.

وجُعل في هذا الدين حبُ الله مقترناً باتباع القدوة معلم البشرية. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

(1)

ما أخرجنا إلا الجوع!

حدث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

خرج أبو بكر رضي الله عنه بالهاجرة[3] إلى المسجد فرآه عمر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟!

قال: ما أخرجني إلا ما أجد من شدة الجوع.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 31.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 21.
(3) نصف النهار في شدة القيظ.

فقال عمر: وأنا والله ما أخرجني غير ذلك.

فبينما هما كذلك، إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «**ما أخرجكما هذه الساعة؟!**».

قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده في بطوننا من شدة الجوع.

قال ﷺ: «**وأنا - والذي نفسي بيده - ما أخرجني غير ذلك.. قوما معي**».

فانطلقوا فأتوا باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فخرجت إليهم أم أيوب، وقالت: مرحباً بنبي الله وبمن معه.

وسمع أبو أيوب صوت النبي - وكان يعمل في نخل قريب له - فأقبل يسرع وهو يقول: مرحباً برسول الله وبمن معه..

ثم أتبع قائلاً:

يا نبي الله ليس هذا الوقت الذي كنت تجيء فيه.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**صدقت**».

ثم انطلق أبو أيوب إلى نخيله فقطع منه عذقاً فيه تمرٌ ورُطبٌ وبُسر[1].

فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما أردتُ أن تقطع هذا، ألا جنيت لنا من تمره؟**»، قال: يا رسول الله أحببت أن تأكل من تمره ورُطبه وبُسره، ولأذبحنّ لك أيضاً.

قال ﷺ: «**إن ذبحت فلا تذبحنّ ذات لبن**».

فأخذ أبو أيوب جدياً فذبحه، ثم قال لامرأته: اعجني واخبزي لنا، ثم أخذ نصف الجدي فطبخه، وعمد إلى نصفه الثاني فشواه، فلما نضج الطعام ووضع بين يدي النبي ﷺ وصاحبيه، أخذ رسول الله قطعة من الجدي ووضعها في رغيف، وقال: «**يا أبا أيوب، بادر بهذه القطعة إلى فاطمة، فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام**».

---

(1) **العذق**: الغصن، **والرطب**: ما نضج من تمر النخل، **والبسر**: ما لم يكتمل نضجه.

فلما أكلوا وشبعوا، قال النبي ﷺ: «**خبزٌ، ولحمٌ، وتمرٌ، وبسرٌ، ورطبٌ**»، ودمعت عيناه ثم قال: «**والذي نفسي بيده إنّ هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة**».

إن في قصصهم لعبرة

قصة مؤثرة.. رسول الله ﷺ وصاحباه الصديق والفاروق يلتقيان على غير موعد.. لم يخرجهما بالهاجرة من بيوتهما إلا ما وجدوه في بطونهم من شدة الجوع.

هذا هو الرسول القدوة.. متعدد جوانب العظمة.. يجد فيه كل إنسان منصف جانباً عظيماً يشده إليه.

إذا تواضع الناس فهو أشدهم تواضعاً «**وهل أنا إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة**».

وإذا حمي الوطيس (كان أشجع المسلمين أقربهم إلى رسول الله ﷺ).

وإذا جاع الناس فهو أول من يجوع.

وإذا شبعوا هو آخر من يشبع.

فإذا تساءل أحد: كيف استطاع رسول الله ﷺ أن يغير وجه الدنيا بأعداد قليلة من الرجال..؟

كان الجواب: لأنه كان قدوة عظمى.. تربى في مدرسته رجال تأسوا به فأصبحوا عظاماً.. يقودون الأمم.. ويعلمون التاريخ كيف يكون القوي ضعيفاً حتى يُؤخذ الحق منه.. والضعيف قوياً حتى يؤخذ الحق له.. فلا حركة بدون قدوة.. ولا تربية بدون قدوة.. ولا بناء بدون قدوة.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

(1) سورة الأحزاب، الآية: 21.

ويمكن أن يسأل الداعية نفسه هذا السؤال:

ألم يكن بإمكان رسول الله أن يسكن قصراً، وأن تحيط به الحاشية، وأن يأكل أطايب الطعام..؟ الجواب: نعم بالتأكيد.. ولكنه لم يفعل لأنه القدوة لأمته.. الحاضرة والمستقبلة.

ألم يكن أبو بكر تاجراً غنياً..؟

أين ذهبت أموال عمر..؟

هذه هي القدوة.. التي لا تتطلع إلى الدنيا.. كل ما يهمها هو بناء النموذج ومرضاة الله.

وعلى كل الدعاة في كل زمان ومكان.. إذا أرادوا أن يساهموا في إقامة صرح الإسلام، أن يتعلموا من نبيهم دروس القيادة.. ويطبقوها على أنفسهم أولاً.. وأن يكونوا قدوة صالحة يتأسَّى بها الآخرون.

obeikandl.com